أَلهُوِيَّةُ الحَقِيقِيَّةُ لِلشَّمْسِ فِي القرآن الكريم

السيد عبد الأمير المؤمن

باحث في علم الفلك والتراث العلمي

فحوى البحث

بحث فلكي قرآني يعرض لهذا الجرم الكوني الهائل والذي كان له نصيب بارز في الذكر الحكيم من حيث رسم صورته وعظمة تكوينه واثره على كل الخلق، ومن ثم اهمية وجوده في هذه الحياة الارضية، وعلاقته بالقمر، واخيراً كيفية اضمحلاله وانتهاء عمره. كل ذلك جاء معززاً بشواهد القرآن الكريم الذي نزل على صدر الرسول الاعظم ﷺ ومعه حقائق كونية هائلة وثابتة ومبرهن عليها بالمكتشفات الفلكية الحديثة المعقدة، والتي تنأى عن التصورات العامية والاساطير التي رسمتها الشعوب البدائية عن الشمس، حتى آل بها انبهارها الى عبادتها وتعظيمها ونسبة كثير من الخوارق الارضية لها.

● الشمس، هذه الشعلة الكونية الساطعة، من أوضح الاجرام السماوية على الاطلاق، فبوضوحها يضرب المثل (اوضح من الشمس) أو (كالشمس الواضحة). عرفها القدماء كائناً سماوياً اساسياً مهماً في حياتهم و معاشهم ادركوا اهميتها و دورها في حياتهم المعاشية، من خلال ضوئها الساطع و حرارتها و دفئها في ايام البرد و منافعها الاخرى.

قدسها اقوام و عبدوها من دون الله سبحانه و تعالى، و ادرك آخرون طبيعتها المادية السماوية، ادركوا أنها جرم سماوي مضيئ يجري في السماء كما تجري الاجرام السماوية الاخرى في حركة منتظمة لا تحيد عنها، و أدركو اموراً علمية وفلكية اخرى.

و نزل القرآن الكريم على صدر الرسول الاعظمﷺ و معه حقائق كونية هائلة ثابتة على الزمن و قدم لنا هوية الشمس الحقيقية باسلوب واضح مبين كاسلوب الشمس الواضحة.

وفي البداية لابد لنا من قراءة اجمالية لهذا الجرم السماوى الخطير كما ورد في علم الفلك الحديث، ثم نقرأ اهمية هذا الجرم ومدى وضوحه وعلميته في القرآن الكريم، لتكون الدراسة اكثر اهمية و وضوحاً.

الشمس كما قرأها الفلك الحديث:

عرف الانسان الشمس منذ أن عرف الحياة على الارض، و اقترنت حياته بها، و وفرت له خدمات حياتية اساسية فقرأها وعرف بعض تفاصيلها و مازال جاداً في فهمها و معرفة اسرارها.

لكن التطور العلمي و التكنولوجي في العصر الحديث و فر معلومات علمية و ميدانية هائلة جعل من الشمس اكثر وضوحاً و اكثر جمالاً و قوة.

و الشمس في علم الفلك الحديث هي كرة سماوية غازية ملتهبة.

أو هي نجم من النجوم السماوية الكثيرة، اقتربت منا فبانت بهذا الحجم المرئى الكبير، و هي أحد نجوم مجرتنا (درب التبانة) تقع في الثلث الاخير من امتداد المجرة في (ذراع الجبار) وهي

نجم متوسط بين اكثر من مئة مليار نجم يكون المجرة.

الشمس في وسط النظام الشمسي تقريباً و تحتفظ من خلال جاذبيتها الكبيرة بتسعة كواكب سيارة مع عدد من الاقمار و عدد كبير من الكويكبات و النيازك و المذنبات دائرة حولها مطيعة لها.

وتتكون الشمس اساساً من الهيدروجين نحو ٧٠٪ و الهليوم نحو ٢٨٪، و هناك كميات قليلة من الكربون و النيتروجين و الاوكسيجن و غازات اخرى.

ولدت الشمس من سحابة غازية غبارية (سديم) منذ نحو خمسة مليارات سنة و هي الآن جرم أصفر تبلغ درجة حرارتها على السطح نحو ٥٥٠٠ درجة مئوية و في المركز نحو ١٥ ٠٠٠ ٠٠٠ درجة مئوية.

قطر الشمس يبلغ نحو ١٣٩٢٠٠٠ كيلومتر فهو اكبر من قطر الأرض بنحو ١٠٩ مرات. أما حجمها فهو اكبر من الأرض اكثرمن مليون مرة وكتلتها اكبر من كتلة الأرض بنحو ٣٣٣٠٠٠ مرة اي انها اكبر من مجمل كتل الاجرام في المجموعة الشمسية. و تبعاً لهذه الكتلة الكبيرة صارت جاذبيتها اكبر من جاذبية الأرض بنحو ٢٧ مرة أما كثافتها فهي ربع كثافة الأرض تقريباً.

متوسط بعد الشمس عن الكرة الأرضية يبلغ نحو ١٤٩٦٦٥٠٠٠ كيلومتر. تدور الشمس حول محورها من الشرق الى المغرب مكملة دورة واحدة في نحو٣٥ يوماً عند القطب و نحو ٢٥ يوماً عند خط الاستواء و سبب هذا التفاوت هو طبيعتها الغازية غير المتماسكة.

تنتج الشمس طاقتها الشعاعية و حرارتها من خلال الاندماج النووي الداخلي من خلال تحول الهيدروجين الى هليوم مولدة ناراً و نوراً و طاقات هائلة فهي مصدر الحرارة و الضوء و الحياة على الكرة الارضية و لولاها لما كانت حياة على وجه الأرض

و للشمس نهاية فستفقد شبابها بعد نحو خمسة مليارات سنة و ستصبح

عملاقاً احمر تمتد حرارتها الى الكواكب القريبة و تقضى على الحياة في الكرة الأرضية كلها.

هذا ما وفره علم الفلك الحديث من خلال ما توافر له من حقائق و اجهزة علمية متطورة.

حضور الشمس في القرآن:

اورد القران الكريم عدداً كبيراً من الاجرام السماوية الشمس والقمر و النجوم والكواكب والشهب و مواد سماوية اخرى.

و على الرغم من أن الشمس في الحسابات و الدراسات الكونية جرم أو نجم عادى بين آلاف المليارات من النجوم، جرم عادى من حيث الحجم و الضوء و الموقع -كما المحنا الى ذلك- الا أنها جرم ذو اهمية كبرى بالنسبة لاهل الأرض فهي بالنسبة لانسان الأرض المقوم الاساسي لحياتة و معاشه و استمراره و بدونها لاحياة على سطح الكرة الأرضية أصلاً.

و حيث إن الشمس مادة طبيعية فلكية مهمة حاضرة لا تفارق الانسان و مصدر مهم جداً من مصادر حياتة و جدنالها حضوراً كبيراً في آيات القرآن المجيد فقد وردت في هذا الكتاب الكوني العظيم ٣٣ مرة وضمن سياقات و معان مختلفة مقدماً معلومات اجمالية و تفصيلية نسبياً ليست قليلة.

و في كل ماجاء عن الشمس في القرآن الكريم جاء مادة علمية ثابتة تحكى حقيقتها بكل وضوح و يمكن القول إن اهم ماورد عن هذا الجرم الجميل هو الحديث عن طبيعتها النارية و السراجية (نسبة الى السراج) و حركتها و بعض فوائدها و منها حساب الزمن وشيخوختها و انتهاؤها و موتها في النهاية كسائر مخلوقات الله الكثيرة.

و في كل ماورد عن هذا الجرم السماوي الجميل ورد ضمن اسلوب ادبي بلاغي جميل و ضمن هدف القرآن العام و هو الهداية.

ومجمل الذى ورد عن الشمس هو معلومات عامة و افكار كلية بعيدة عن الارقام و الجداول العلمية المعروفة

في الكتب التخصصية فليس هناك ارقام عن قطرها و أبعادها و حجمها و كثافتها و درجة حرارتها و مقدار جاذبيتها فتلك من خصائص الكتب الأرضية و الجهود البشرية.

فالقرآن الكريم ليس كتاباً ارضياً تخصصياً في موضوع محدد او مواضيع خاصة و انما هو كتاب شامل كامل خالد على الزمان و المكان يورد كل ما يصب في هدفه العام قال تعالى ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة ابراهيم: ١].

اقتران الشمس بالقمر في القرآن:

و كما وردت الشمس في القرآن الكريم ورد القمر ايضاً (و إن بنسبة اقل من الشمس ورد ٢٧ مرة) وردا مقترنين (الشمس والقمر) في كثير من الايات القرانية الكريمة.

و نحن نعرف من علم الفلك أن القمر جرم صغير اصغر من الكرة الارضية بنحو ٤٩ مرة و نعرف ايضاً ان الكرة الارضية أصغر من الشمس بنحو اكثر من مليون مرة فكيف ينسجم ورود الشمس و القمر مقترنين في آيات كونية عديدة من القرآن الكريم.

لا شك في ان هذا الاقتران بين الجرمين السماويين راعى الجانب الظاهري الواضح الذى تبدو فيه الشمس و القمر و كأنما هما في حجم واحد او في حجم متقارب في العين المجردة التى تنظر اليهما من سطح الكرة الارضية.

و هي النظرة الفطرية الطبيعية التى ينظر من خلالها الراصد (إنسان الأرض) الى الشمس و القمر في كل زمان و مكان. والقرآن الكريم ينجسم و الفطرة تماماً وفي هذا الاقتران راعى الفطرة افضل مراعاة.

و في الوقت نفسه تحدث القرآن الكريم أو اشار او لمح الى الجانب العلمي الخفي على سائر الناس ليمكن قراءتها علمياً.

و هذا هو معنى الخلود القرآني على الزمان و المكان و الانسجام على كل المستويات.

وهنا يمكن ان نذكر بعض الآيات الكونية الشريفة التى وردت فيها الشمس مقترنة بالقمر. ومن تلك الايات.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ [سورة الاعراف: ٥٤].

و قوله تعالى ايضاً: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الزمر: ٥].

وقوله ايضاً: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

و قوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ... ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١].

مخلوقه مطيعة و مسخرة:

وردت الشمس في القرآن الكريم بعدد من المواصفات و الاحوال فهي جرم مخلوق لله سبحانه و تعالى كأي مخلوق آخر لم تكن ثم كانت و لها بداية و نهاية كما المخلوقات الاخرى الأرضية والسماوية تماماً.

قال عز وجل في محكم كتابة الكريم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ ﴾ [سورة الانبياء: ٣٣].

و قال تعالى ايضاً مشيراً الى مخلوقيتها و عدم جواز عبادتها:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

و اذا كانت مخلوقة لله سبحانه و تعالى فهي مطيعة له كما المخلوقات الأخرى تسجد لله تعالى و تسبح له كسائر مخلوقات الله تعالى طبعاً بطريقتها الخاصة التي لا يفهمها الانسان. قال سبحانه و تعالى في سجودها له: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الحج: ١٨].

و قال سبحانه و تعالى في تسبيحها له: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[سورة الاسراء: ٤٤].

و في هذه الاية ينسحب التسبيح على كل المخلوقات و ان لم نعرف طبيعة تسبيح كل نوع منها.

و هي مسخرة للناس لتلبية كثير من احتياجاتهم و لها دور كبير في استمرار الحياة و بقائها و بانتهائها تنتهي الحياة و ما فيها قال عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[سورة الزمر: ٥].

و قال عز من قائل ايضاً: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الاعراف: ٥٤].

و قال تعالى ايضاً ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾[سورة النحل: ١٢].

و هكذا تتصف الشمس الواردة في القرآن الكريم بكل مواصفات المخلوق لله سبحانه و تعالى.

الشمس مادة طبيعية لا تنجيمية:

والشمس كما وردت في القرآن المجيد مادة علمية طبيعية فلكية واضحة المعالم لا لبس فيها تخضع للمواصفات العلمية والمعرفية الصحيحة، لا المواصفات التنجيمية و الاسطورية و الخرافية التى حملتها عقول المنجمين و البروجيين الذين استخدموها استخداماً خاطئاً بعيداً عن العلم و المعرفة.

فهي ليست الهاً مقدساً لعبادة الناس و قد صرح القرآن بذلك بشكل واضح و صريح بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[سورة فصلت: ٣٧].

و ليست جرماً اسطورياً او خرافياً او وهمياً خارجا عن العلم و المعرفة و علم الفلك العلمي خاصة و ليست شيئاً او مادة غامضة لا يمكن دراستها و معرفتها وتشريحها علمياً.

و لذلك فان ماورد من مواصفات و خصائص و معلومات هي معلومات طبيعية واضحة عن حالات الشمس

المختلفة و ان كانت ضمنية و ليست لغرض التفصيل العلمي -وهي مواصفات وخصائص جاءت لتنبه الانسان العادي والانسان العالم الى هذا الجرم الطبيعي المادي المخلوق و تثير فيه احاسيس البحث و المتابعة العلمية.

لقد وردت للشمس في القرآن الكريم خصائص و مواصفات علمية و معرفية عديدة و متنوعة و كل ما ورد من معان لا يخالف ما ورد من الصحيح في علم الفلك الحديث بل و الادق لا يخالفها علم الفلك لانها مخلوق صنعه الله سبحانه و تعالى الذى اتقن كل شيء ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[سورة النمل: ٨٨].

و بالتأكيد هي مادة فلكية علمية مجملة لا تفصيل فيها الا في حدود فقد تحدث القرآن عن اسس عامة على اسلوب القرآن الكريم و على و فق الهدف القرآني ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة الاعراف: ٥٢] و القرآن يزخر بالاستشهادات العلمية و الفلكية و التاريخية و الجغرافية الواقعة ضمن الهدف القرآني الكبير.

ان الفارق الاساس بين المادة الفلكية الشمسية و امثالها من المواد الكونية المختلفة التى جاء بها القرآن المجيد و المواد الفلكية التي جاء بها علم الفلك الحديث هو الاسلوب الالهي البلاغي المتفرد زائداً المواد و الحقائق العلمية و الطبيعية الثابتة التي تضمنتها الايات الكونية القرآنية.

الشمس كتلة نارية ملتهبة:

وردت الشمس في القرآن المجيد جرما سماويا ناريا شديد الحرارة، تسطعُ ضوءاً لامعاً وتبثّ إشعاعات ذاتية، وليست جرماً ثانوياً يكتسب النور من غيره، من جرم آخر، كما في حال القمر الذي يكتسب النور من غيره، أو الكواكب السيّارة التابعة للشمس، التي تستمد أضواءها من ضوء الشمس.

ورد ذلك عبر عِدّة آيات قرآنية كريمة، فقد وصفها القرآن الكريم، بـ(السراج) المضيء أو (السراج

الوهّاج)، خلافاً لوصف القرآن للقمر، الذي يبث نوراً انسيابيّاً هادئاً، فالشمس تبعث ضوءاً ساطعاً والقمر يبعث نوراً هادئاً.

وقد اورد القرآن الكريم هذه الأوصاف والحالات الشمسية بشكل واضح. وفي أكثر من آية من آياته المجيده.

فقد ورد (السراج الوهاج) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[سورة الفرقان: ٦١].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [سورة النبا: ١٢ -١٣].

والسراج الوهاج يدل دلالةً واضحةً وصريحةً على نارية الشمس الحارقة لا النور الهادئ ومجرد الضوء العادي.

وفي التفريق بين ضوء الشمس ونور القمر ذكر القرآن اكثر من آية شريفة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا .. ﴾ [سورة يونس: ٥].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[سورة نوح: ١٦].

الشمس تجري في السماء:

والشمس في القران المجيد تجري كما تجري الأجرام السماوية الأخرى في أفلاكها أو مداراتها. ذكر القرآن الكريم هذه الحركة أو هذا الجريان بشكل صريح دون أن يورد التفاصيل، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٨ -٤٠].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[سورة ابراهيم: ٣٣].

وإذا ادرك انسان الحضارات القديمة من هذه الحركة والجريان المستمر الجريان الظاهري للشمس،

أي هذا الجريان الذي نشاهده جميعاً كل يوم من طلوع مشرقي للشمس وغروب مغربي لها، فهذا هو الفهم العام الذي ينسجم (بشكل خاص) والمرحلة التي عاشها أولئك القدماء. وذلك هو جريان ظاهري للشمس لا يمكن ان ينكره منكر، يدركه أو يحسه كل إنسان، عالماً كان أو غير عالم بالنظر العادي الفطري.

لكنَّ هناك حركة أو جرياناً آخر أعمق وأبعد من هذا الجريان الظاهري ذلك هو حركة الشمس الحقيقية العلمية التي أدركها العلم في العصر الحديث، وهذه الحركة أو الجريان يُمكن أن تنطبق على اكثر من حركة للشمس.

فالشمس تجري أو تدور حول محورها مكونة يوماً شمسياً يبلغ بين ٢٥و٣٥ يوماً من أيام الأرض.

وهناك حركة الشمس ومعها أعضاؤها وتوابعها حول مركز أو نواة المجرّة (مجرّة درب التبّانة) وتكملها الشمس في نحو ٢٢٠ مليون سنة من سنين الأرض، مكونة ما أصطلح عليه علم الفلك بالسنة الكونية أو السنة المجرية cosmic year.

وهناك حركة الشمس داخل المجرّة نحو كوكبة الجاثي على ركبتيه (هرقل) Hercules.

إنَّ هذه الحركات الشمسية المتعددة كانت منذ خلق الله تعالى الشمس والمجرّة، ولكن المراحل العلمية القديمة وثقافة تلك المراحل بشكل عام لم تستطع إدراكها.

وكل ما أدرك القدماء هو الحركة الظاهرية الفطرية للشمس، وهو إدراك صحيح وسليم ينسجم والفطرة البشرية في كل زمان ومكان.

وجاء القرآن الكريم ليقول الحقيقة من جميع جوانبها، جاء ليقول بحركة الشمس دون ان يُفصّل فيها ويدخل في فروعها. وذلك لينسجم قوله مع المراحل المختلفة مع كل الأجيال البشرية.

فالقرآن الكريم لكل الأزمان والمراحل. وكل مرحلة أو جيل يأخذ

منه أو يفهم منه ما يمكن أن ينسجم مع مرحلته وثقافته وبيئته وهذا سر إعجاز القرآن، واختلافه عن الكتب والمؤلفات الأرضية المحدودة.

الشمس لقياس الوقت:

حاشا لله سبحانه و تعالى ان يخلق شيئاً من دون حساب و هدف و غاية فكل مخلوقاته خلقت على وفق حسابات و غايات دقيقة عرفنا بعضها و خفي علينا بعض آخر.

كل مخلوق من مخلوقاته التى لا تعد ولا تحصى مسخر لاهل الارض قال سبحانه و تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾[سورة النحل: ١٢] كما المحنا من قبل.

و لاشك في ان مصاديق تسخير الشمس كثيرة كالضوء و الحرارة و حساب الوقت و الزمن و امور اخرى لا مجال لذكرها هنا.

و من المصاديق المهمة جداً لتسخير الشمس حركتها التى توفر لاهل الارض مقياساً طبيعياً للوقت و الزمن فمن خلال حركتها نعرف تفاصيل اليوم، الصباح و الضحى و الظهر و العصر و الغروب و هي اوقات ضرورية لممارسة الأنشطة الحياتية المختلفة و من مجموع الايام الشمسية عرف الانسان السنة الشمسية.

فضلاً عن دورها في ممارسة العبادات الاسلامية المختلفة كالصلاة و الصيام التى تتوقف على ضبط هذه الاوقات كالشروق و الزوال و الغروب و من ذلك قوله تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [سورة الاسراء: ٧٨].

لقد اقر القرآن الكريم كثيراً من الممارسات و العادات السابقة النافعة وهي بنص القرآن ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾[سورة آل عمران: ٣].

اقر للشمس دورها في قياس الوقت و الزمن فقال سبحانه و تعالى في كتابه الكريم ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [سورة الرحمن: ٥] يقول الزمخشري (بحسبان) بحساب معلوم و تقدير

سوي (يجري ان) في بروجها و منازلها و في ذلك منافع للناس عظيمة: علم السنين و الحساب[1].

و قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [سورة الانعام: ٩٦].

و هذه اشارة واضحة الى ان من وظائف الشمس الحساب ومثلها القمر.

والتقويم يقوم اساساً على الحساب سواء حساب حركات الشمس (التقويم الشمسي) او حساب حركات القمر (التقويم القمري) يقول الزمخشري ((و معنى جعل الشمس و القمر حسباناً)) جعلها على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما و سيرهما))[2].

الشمس مخلوق فان:

الشمس، شأنها شأن كل مخلوق، لا تشذ عن هذه السُّنة الالهية لا تَشذّ عن مخلوقات الله تعالى الأخرى المنتشرة في أرجاء الكون بل الكون كله، فكما للشمس بداية ونموّ وصعود فلها افول ونهاية، ولم يبق سوى وجه الله تعالى خالق الكون وخالق الشمس والقمر وكل شيء.

وستبقى إلى أجل مُسمّى، إلى أجل محدّد، فإذا كان عمرها قد وصل الآن نحو خمسة مليارات سنة، فأمامها نحو خمسة مليارات سنة أخرى، تدخل بعدها مرحلة الشيخوخة، فتصبح عملاقاً أحمر عجوزاً يستوعب حجمه وحرارته الكواكب السيّارة القريبة منه ولا سيّما الكرة الأرضية لتنتهي هذه الكرة وتنتهي الشمسُ جرماً صغيراً، قزماً اسود black dwarf انهكه الزمن لا ينتج طاقةً ولا ضوءاً ولا أي تفاعل، وبالتالي يدخل مرحلة الموت والنهاية الحتمية.

وقد ذكر القرآن المجيد هذه النهاية الحتمية ضمن إشاراته الكثيرة إلى الانهيارات الكونية ونهاية الكون الكبرى.

فالشمس أولاً وقبل كل شيء

(١) الكشاف / الزمخشري / ج٤ ص٤٤٣.
(٢) الكشاف / الزمخشري / ج٢ ص٤٧.

مُسخَّرة إلى أجل مسمى محدود. قال سبحانه تعالى: ﴿.. وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[سورة لقمان: ٢٩] وقال تعالى أيضاً: ﴿... وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٥٤].

وهي تجري إلى مستقر محدّد قدَّره البارئ عز وجل، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [سورة يس: ٣٨].

وفي اياته سبحانه و تعالى حول يوم القيامة والنهاية الكبرى ذكر القرآن نهاية الشمس ضمن تلك النهايات الكونية فهي ستتكور قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [سورة التكوير: ١].

وكوّر الشيء في اللغة العربية ضَمَّ بعضه إلى بعض، يقول الراغب الاصفهاني في مفرداته: ((كوْر الشيء أداره وضمّ بعضه إلى بعض ككور العمامة))[٣].

وستنطمس الشمس ضمن انطماس النجوم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾[سورة المرسلات: ٨].

ومعنى الطمس في اللغة المحو والإزالة، يذكر الراغب الاصفهاني في مفرداته: ((الطمس إزالة الأثر بالمحو قال وإذا النجوم طمست، ربنا أطمس على أموالهم أي أزل صورتها، ولو نشأ لطمسنا على أعينهم، أي أزلنا ضوأها وصورتها كما يطمس الأثر))[٤].

وستنكدر الشمس ضمن انكدار النجوم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾[سورة التكوير: ٢].

يقول الراغب الاصفهاني: ((والإنكدار تغيّر من انتثار الشيء، قال ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ وانكدر القوم على كذا إذا قصدوا متناثرين عليه))[٥].

وستلتقي الشمس والقمر وينتهي كل شيء لندخل النهاية المادية الحتمية.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٤٤٣.
(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٣٠٧.
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ص٤٢٧.

قال سبحانه تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [سورة القيامة: ٧-١٠].

هذه نهاية شمسية قرآنية أكيدة ذكرها القرآن الكريم في عدد من آياته الشريفة مما ذكرنا ومما لم نذكر، من خلال آيات أخرى بالتصريح أو التلميح أو الإشارات القريبة أو البعيدة.

وبهذا الذكر المتكرر للشمس وهذه الخصائص والمواصفات والحالات الشمسية. نعْرف أن الشمس الواردة في القرآن الكريم هي شمس علمية جاءت ضمن منهج علمي قرآني دقيق، لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

مراجع البحث

القرآن الكريم

- الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي/ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات/ بيروت ١٩٧١م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن/ ابو علي الطبرسي/ تحقيق هاشم المحلاتي/ بيروت ١٩٨٨م.
- الكشاف/ ابو القاسم الزمخشري/ تحقيق عبد الرزاق المهدي/ دار احياء التراث العربي/ بيروت ٢٠٠١م. ط٢.
- المفردات في غريب القرآن/ الراغب الاصفهاني/ دار الكاتب العربي/ قم اسماعيليان اوفست.
- موسوعة القرآن العظيم/ د. محمد عبد المنعم الحنفي/ مكتبة مدبولي/ القاهرة ٢٠٠٤م.
- تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم/ د. زغلول النجار/ مكتبة الشروق الدولية/ القاهرة ٢٠٠٧م
- موسوعة الاعجاز القرآني/ د. نادية طيارة/ مكتبة الصفاء ابو ظبي ٢٠٠٧م.
- اعجاز الحقائق العلمية في القرآن الكريم/ د. عبد الوهاب الحكيم/ دار المحجة البيضاء بيروت٢٠٠٣م.
- التراث الفلكي عند العرب والمسلمين/ عبد الامير المؤمن/

جامعة حلب ١٩٩٢م.
- قاموس دار العلم الفلكي/ عبد الأمير المؤمن/ دار العلم للملايين/ بيروت ٢٠٠٦م.
- المصباح المنير/ احمد الفيومي/ دار الهجرة/ قم ١٤٠٥ هـ اوفست.
- السماء والكون في القرآن ونهج البلاغة/ عبد الأمير المؤمن/ المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات/ قم ١٤٢٨هـ.
- مكانة الفلك والتنجيم في تراثنا العلمي/ عبد الأمير المؤمن/ مركز جمعة الماجد/ دبي ١٩٩٦م.